حيّ أي حاضر!

لقاء بداية السنة للبالغين والطلبة الجامعيّين من أعضاء شراكة وتحرّر

استاد "ميديولانوم فوروم" بمدينة أسّاغو (ميلانو) في 29 أيلول/سبتمبر 2018

خوليان كارّون

أن نستأنف ليس بالأمر المفروغ منه، بل هو نعمة، وعلامة لا لبس فيها على اهتمام الله بكلّ فرد منّا. يا له من ردّ فعل، يا له من امتنان أن ندرك أننّا لم نُترك إلى عدمنا! لكنّ هذه النعمة كانت موضع قبول كلّ واحد منّا بفعل تواجده هنا الآن. دعونا إذن نطلب من الروح القدس – وهو مصدر هذه الخطوة – أن يفتح كلّ واحد منّا، أن يفتح أنفسنا بالكامل لتقبّل هذه النعمة، ولنسأله ألا تكون هذه النعمة فينا عبثًا.

هلمَّ أيّها الروح القدس

أرحّب بجميع الحاضرين وبكلّ المتواصلين عبر الفيديو.

إنّنا نستذكر هذا العام مرور خمسين سنة على 1968، والذي كان، كما نعلم جميعًا، لحظة تحوّل (لقد دعاه البابا بنديكتوس السادس عشر "وقفة" في تاريخنا الحديث)، والذي على الرغم من انطلاقه من مقتضيات عادلة – مزيد من الأصالة والحرّيّة – انتهى به الأمر إلى وضع مجتمعنا كلّه في أزمة.

نحن اليوم نواجه لحظة انتقاليّة هائلة أخرى، أشار إليها البابا فرنسيس كـ "تغيير عصر"، يتميّز بما أسميناه "انهيار القناعات" (كم مرّة كرّرناه على أنفسنا في السنوات الأخيرة، بوعي متزايد دومًا): فما كان يبدو قبل بضعة عقود واضحًا، في ما يخصّ أسس الحياة الشخصيّة والاجتماعيّة، لم يعد واضحًا بالنسبة لغالبيّة معاصرينا. والنتيجة المباشرة لذلك هي ارتباك كبير نشعر به جميعًا. كما يشهد أحد أهمّ علماء الاجتماع الألمان، أولريخ بيك، في كتابه الأخير (المنشور بعد وفاته)، حيث قال حرفيّا: "لقد أفلت العالم من مفصلاته. هذا ما يعتقده الكثيرون. إنّنا نهيم بلا هدف، مرتبكين، نتناقش حول إيجابيّات وسلبيّات هذا وذاك. ومعظم الناس، بغضّ النظر عن كلّ تناقضاتهم، وفي جميع القارّات، يتّفقون حول عبارة هي التالية: "لم أعد أفهم العالم" (تحوّل العالم، دار نشر لاتيرتسا، باري 2017، ص. XIII).

لذلك يتساءل الكثيرون: من أين يمكننا أن نستأنف؟ من أين نعود ونبدأ؟

لهذا تأثرت كثيرًا لدى استماعي إلى كلمة دون جوسّاني، والتي ألقاها خلال لقاء جمعه بنواة من البالغين المنضوين إلى مركز بيغي الثقافيّ، والذي أصبح لاحقًا حركة شراكة وتحرّر، وذلك يوم الأوّل من تشرين الثاني/نوفمبر 1968، في بلدة فاريغوتّي Varigotti. كان ذلك في ذروة الأزمة التي اجتاحت الشبيبة الطلابيّة Gioventù Studentesca في نفس العام. يقوم جوسّاني بمداخلة وسط ضياع عامّ، فيتساءل: من أين نعود ونبدأ؟ ما الذي يمكنه أن يدعم حقّا الحياة في مثل هذه اللحظة من الارتباك العظيم؟ ماذا يمكنه أن يصمد أمام صدمة الزمن؟ سيردُ جوابُه في الكلمات التي سوف نستمع إليها الآن.

وكونني تأثّرت عندما استمعت إليها، إذ أدركت أنّها متّصلة بشكل جذريّ بوضعنا اليوم، قرّرتُ أن أدعكم تستمعون إليها أنتم أيضًا. علاوة على الكلمات، أولوا اهتمامكم بالنبرة وبالطريقة التي يتوجّه بها دون جوسّاني للأعضاء القليلين من مركز بيغي الثقافيّ المستمعين إليه.

لقد رأيت أنّه من المهمّ أن يستمع أصدقائنا الأجانب بدورهم – من الذين يتابعون هذا اللقاء مباشرة أو الذين سيشاهدونه لاحقًا – إلى مداخلة دون جوسّاني وليس قراءة ترجمتها فحسب، وذلك من أجل تشجيعهم على التماهي مع المضامين التي سيعملون عليها طوال شهر تشرين الأوّل/أكتوبر.

© 2018 Fraternità di Comunione e Liberazione

مقدّمة دون لويجي جوسّاني خلال الرياضة الروحيّة التي نظّمها مركز شارل بيغي الثقافي
(بلدة فاريغوتّي، 1 تشرين الثاني/نوفمبر 1968)
بإشراف خوليان كارّون

لويجي جوسّاني
دعونا نلتزم الصمت لبعض الوقت (متأمّلين بما جئنا من أجله، حتى لو لم ندرك بعدُ الجواب) أمام الله.

فترة صمت قصيرة

نأمل على الأقلّ أن يعطينا الربّ، عند انتهاء هذه الأيّام، أن نكون قد فهمنا بوضوح ما أتينا من أجله، بقدر ما كان هذا الوضوح مفقودًا في بدايتها.
إنّني لم أشعر قطّ بمثل هذا الإحراج ولم أشعر قطّ بمثل هذه المهابة عند التحدّث من هذا المكان، بعد خمسة عشر عامًا، كما هو حالي الآن، لأنّ هذه المرّة تشبه الثمرة الحاسمة، والمستوى الأعلى من حكاية معيّنة. إنّني بصدد إعطاء فكرة عمّا يجب أن يكون عليه بالنسبة لي مضمونُ هذه الأيّام، وبصدد التعبير على الأقلّ عن الأهمّيّة التي ينبغي بالنسبة لي أن يكون عليها مضمونُ هذه الأيّام. إنّه كما لو أنّنا نلمس قعر ما أتينا لنبدأ البحث عنه قبل خمسة عشر عامًا في هذا المكان، والمهابة أو الإحراج هما بسبب الجزء الذي ينتظره صوتي.
إنّنا كلّنا مفعمون بالأمل بأن تقول هذه الأيّام شيئا. ليس فقط ألا تضيع سدى، بل بأن تُرسي وتضع بشكل ثابت شيئًا، بأن تجعلنا نقوم بخطوة لا رجعة عنها. يحدونا كلّنا هذا الأمل، لكنّ الفرق العميق بينها وبين جميع الأوقات الأخرى التي اجتمعنا فيها ههنا هو التالي: أنّ هذا الأمل لم يعد في ما يُعطى لكم، بل فيكم. لم يعد أملا في ما يعطيكم إيّاه صوتٌ أو ظروفٌ في هذه الأيّام، بل إنّه أملٌ على كلّ فرد أن يضعه، لا أقول في نفسه بالمعنى المحدّد للكلمة، ولكن في شيء موجود في داخله، في داخلكم. فلننقل العبارة الواضحة البسيطة: إنّه أملٌ، هذه المرّة، فيكم، إنّه أمل فيّ وفيكم، فيكم وفيّ، إنّه أملٌ في شخصنا أو في شيء داخل شخصنا. ليس أملا في شيء خارجنا، ليس أملًا في صوتٍ، في ظروفٍ، في موقفٍ ما، في فرصةٍ ما: ليس أملا في ذلك، إنّه أملٌ في شيء موجود داخلنا. لذلك لديّ أمل فيك، وهو ليس أملا منك في ما سأتمكّن من قوله لك.
في نهاية المطاف، هذا هو وجه الاختلاف القائم بين جمهور من الأطفال أو المراهقين وجمهور من الكبار، من الراشدين، لأنّ الإنسان الناضج، الرجل البالغ، يدور في داخله كلّ الحدث الدراميّ للحياة ومعناها، أي قيمتها. هذا لا يعني أنّ عليه أن يقتنص كلّ العوامل، العوامل المحدِّدة، داخل استقلاليّة فرادته. على العكس! أي أنّ كلّ ما يحدّد قيمته يدور في داخله: أنّ الله أو الشيطان، إذا ما أردتم – نداء سرّ المسيح أو نداء أحشاء العالم – يلعبان في داخلك مسرحيّتهما، يقومان بدعوتهما.
كم من مرّة أثارتنا تلك العبارة الواردة في الإنجيل: "أتظنّون أنّه إذا جاء ابن الإنسان سيجد الإيمان على الأرض؟"(راجع لوقا 18، 8). أعتقد أنّه لم تكن هناك في كلّ تاريخنا لحظة، لحظة بالمعنى الزمنيّ، بدت فيها هذه الجملة التي نطق بها المسيح بحزن وكآبة، أمكننا أن نشعر بها، وثيقة الصلة بالموضوع كما هو الحال الآن. "أتظنّون أنّه إذا جاء ابن الإنسان سيجد الإيمان على الأرض؟"

إنّ الإيمان هو ما نسعى إليه، إنّ الإيمان هو ما نريد اختراقه، إنّ الإيمان هو ما نريد عيشه. يبدو أنّ كلّ شيء حولنا يتعاون ويتواطأ مع قوّة فاعلة يسعى هذا الإيمان للقضاء عليها أو لتقويضها أو لتفريغها أو لتصنيفها ضمن مقولات عقلانيّة بحتة، ضمن مقولات طبيعانيّة، خارج العالم المسيحيّ وداخله، داخله أكثر من خارجه، الآن. إنّ الإيمان الأصيل، أو أصالة الإيمان، هو ما نسعى إليه. لا نبحث عن أيّ شيء آخر. ولهذا السبب بالتحديد فإنّ

© 2018 Fraternità di Comunione e Liberazione

حديثنا هذه الأيام وعملنا هذه الأيام يترك أثرًا في شيء يغامر به كلّ واحد منّا، يغامر بنفسه. لهذا السبب حاولنا أن نكون واضحين في فهمنا قبل المجيء إلى هنا. نحن على استعداد للحديث مع العالم بأسره، ومستعدّون للذهاب إلى أيّ مكان في العالم، لكننا بحاجة إلى منزل، نحتاج إلى مكان تكون الكلمة فيه كلمة، "تعبيرًا"، وتكون العلاقة فيه "قلبًا"، وديّة، وتكون الرفقة فيه إيجابيّة، وتكون الكلمات فيه ذات معنى، والنوايا ذات معنى، وحيث نسمّي الأشياء بأسمائها.

لهذا السبب، أردنا قبل مجيئنا إلى هنا أن نكون واضحين، فاستخلصنا من التاريخ، على وجه الخصوص من تاريخ السنوات الأخيرة، لا سيّما تاريخ العام الماضي، تباشير رؤية محدّدة للأشياء، تلك التلاميح، تلك الأفكار الأوّليّة حول "نسخةٌ جذريّة لطريقة تصوّرنا للعالم، واستخلصنا إذن من تجربة العام الماضي، وتجربة السنوات الأخيرة، هذه الأفكار الأوّليّة، هذه التباشير، هذه المؤشّرات الأولى، وقلنا لأنفسنا إنّ عليها سنغامر بشخصنا، إنّنا نقبل المغامرة بشخصنا. وهي تحدّد بناءً على ذلك محيط صداقةٍ هو الشرط الأساسيّ لكي يتمكّن الإنسان من أن يصبح هو نفسه، لكي يتمكّن من السير دون مواجهة خطر لا يمكن التغلّب عليه، دون مواجهة خطر يستحيل تخطّيه.
لذلك، وعلى الرغم من عددنا، يجب على نبرة هذه الأيّام أن تجد غذاءها في جوّ عميق من الألفة، ولو كانت شديدة التحفّظ. ألفة هادئة رصينة، ولكن عميقة، تحبّ وترغب وتنتظر فقط توضّحها، توضّحها أكثر أو توضّحها أكثر فأكثر. بهذا المعنى، من الواضح أنّ الأمل يحدو كلّ واحد منّا تجاه الآخر: إنّه أملٌ موضوع فيك وفيّ، لأنّه موضوع في صدقك، بل دعونا نقول الكلمة الحقيقيّة، إنّه موضوع في "فقر روحك". ليس الفضول الفكريّ، بل الفقر بالروح هو ما يجب أن يصحبنا في هذا الرفقة غدًا، وبعد غد، والاثنين: فقر بالروح، الفقر الأصيل، وليس الفقر البائس، ولا الفقر القبيح، حتى لو كان الإنجيل يشير إلى الفقر البائس والقبيح كفرصة يستخدمها الله لإجبار الإنسان على الذهاب إلى عُمق الأمور. ولكن بدون الفقر بالروح، حتى أكثر الفقر سوادًا لا يصبح بالطبع فرصة للتعمّق في الأمور، لأنّ التوبة وحدها هي التي يجعلك تفهم وهي التي تعطي قيمة، والتوبة إنّما تكمن في الفقر بالروح.
فقرٌ بالروح، إذن. إنّ أكثر عوارض الفقر بالروح راديكاليّة هو الإصغاء، هو موقف الإصغاء من جديد والإصغاء: الإصغاء من جديد إلى ما تمّ تقديمه لنا، وبشكل غزير، لأنّ الله، كونه الخالق، الباني، لا يستطيع أن يُعدّ لنا الآن شيئًا إن لم يكن متعلقًا بما مُنح لنا من قبل. والإصغاء لأنّه، كونه خالقًا، فإنّ كلّ لحظة لها حداثة، حداثة مثيرة، تضغط على وجودنا وتحثّها على السير، أو تحثّها على الاكتشاف والبناء.

إنّه حدث يجب أن يجري في داخلنا، هذه الأيّام. إنّه حدث يجب أن يجري في داخلنا، لأنّ ما نبحث عنه ليس تكوين جمعيّة. سيكون أمرًا هامًا، قال أحدهم الليلة، إذا خرجنا من هنا وقد فهمنا أنّ ما نريده ليس تكوين جمعيّة على الإطلاق، بغضّ النظر عن البنية كلها التي تشقّ فيها الصداقة طريقها وتترسّخ. ليس تكوين جمعيّة ما نهدف إليه، بل – وهنا استخدم الكلمة التي تحدّثنا عنها – "إيمان"، وضوح، وضوح محدّد ومعيّن في الإيمان. لأنّ شخصك عندئذ، وقد تحوّل من الداخل، سيخلق أينما ذهب، ومهما فعل، وأيّ علاقة أسّس، جزءًا من تلك البنية الحيّة التي نحن شركاء حسّاسون جدًا فيها: بنية المسيح في العالم.

لا أدري كيف أعبّر عمّا يختمر في داخلي الآن، لأنّني أودّ، بهذه المقدّمة، أن أزيل من طريقنا جميع العقبات وأدرك بأنّني لا أستطيع ذلك، لكنني أدرك أنّ كلمة "إيمان"/، كما قلتها أنا، أو كلمة "المسيح"، كما قلت قبل لحظات، أو كلمة "بنية المسيح في العالم" كما قلت أيضًا قبل برهة؛ هذه الكلمات، مثلها مثل كلّ ما قلته، لها صدى مختلف لديّ ولديكم. بيننا جميعًا، يا لها من صدى مختلف! بالنسبة لبعضكم، قد يتردّد رنين هذه الكلمات

© 2018 Fraternità di Comunione e Liberazione

في خارجهم. ومع ذلك، سواء شعرنا بها خارجنا أو محفورة عميقًا في شخصيّتنا، كما أشعر بها أنا، فإنّ ما نهدف إليه في هذه الأيّام هو التحوّل أمام هذه الكلمات. إنّه حدث، وليس اتفاقًا على القيام بشيء ما؛ ولا هيكليّة نفكّر بها أو نسعى لإنقاذها، بل حدث في أنفسنا، لأنّ الإنسان البالغ سيخلق هيكليّته بيديه بمقدار ما، وإذا ما، كانت لديه الشجاعة التي ستثيرها هذه الكلمات، إذا ما كان لديه قلب، الذكاء والقلب اللذان يجب أن يشكلا مضمون هذه الكلمات.

لقد تحدّث البابا يوحنا الثالث والعشرون عن علامات الأزمنة، كان يحبّ أن يتحدّث عن "علامات الأزمنة" (راجع الرسالة الجامعة "السلام على الأرض"، رقم 21 وما يليه). نحن أيضًا نستخدم هذا التعبير ونبحث عن علامة للأزمنة متعلقة بالتربية على الإيمان، بعلاقتنا الإيمانيّة وعلاقتنا بالإيمان.
يبدو لي أنّ علامة الأزمنة هذه يمكن تعريفها على هذا النحو: قبل خمسة عشر عامًا، عندما بدأنا بحركة الشبيبة الطلابيّة Gioventù Studentesca – وهذا ما يذكره كلّ واحد منكم – كان الدافع والسبب (لا أقصد أنّ خمسة عشر عامًا مرّت بالنسبة لكلّ واحد منكم، بل إنّه موقف ما زال مستمرًّا حتى الآن)، كانت نقطة البداية للدعوة، كان الدافع، الدافع الذي كنّا نبحث عن دعم له، السبب الذي كنّا نسعى للحصول على دعم له من أجل الانتقال للانتماء، الدافع، الدافع الذي كنّا نحاول التأسيس عليه، كان عادةً ما يلي: لقد وُلدنا ضمن تقليد، وليس من العدل أن نستمرّ في هذا التقليد أو أن نهمله، إلا إذا تعاملنا قبلا معه. كان هناك تاريخ يصوغ لنا واجب الولاء له.
من واقع تجربتي، كان هذا نوع النداء، والحافز للنوايا الحسنة، والحافز لحدّ أدنى من بساطة القلب بإمكانها أن تبقى قائمة. على أيّ حال، ومن واقع تجربتي، هذا النوع من النداء، هذا السبب هو الذي دفع جميع الأشخاص الذين جاؤوا إلينا. أعني السبب أو الدافع الجليّ، المنظّر له، المحدّد.
إذا كان هناك جانبٌ مثير كعلامة للأزمنة، أو عن علامة الأزمنة، فهو التالي: إنّ مثل هذا النوع من النداء لن ينجح اليوم، لن ينجح بعد الآن. فالنسبة للشابّ، وبالنسبة لكلّ فرد منّا، بمقدار ما بقي فيه من سنّ الشباب، لم يعد التقليد كافيًا كسبب ونداء. قد تكون كلمة تثير العاطفة والتأثّر في مزاج معيّن متوازن ومليء بالحساسيّة، ولكن ليس ذلك الانطباع الذي يحرّك. إذا كان عليّ أن أطلب من بعض الشباب في الوقت الراهن الانضمام إلى الشبيبة الطلابيّة، فإنّي لا أعتقد بأنّني سأستخدم هذا السبب مرّة أخرى.

هذا صحيح، ويمكننا أيضًا توضيح السبب: إنّه زمن، زمننا – كم مرّة سنحت لنا فرصة ذكر هذا الأمر – يمرّ فيه التاريخ بلحظة دقيقة، وبالتالي بزمن التزام بالمراجعة وبالثورة على الأشياء. بهذا المعنى، يعيش التاريخ لحظة نفتقد فيه معنى التاريخ: فالإنسان، في لهثه وراء عمله الحاضر وتعلّقه به، يفقد الإحساس بالتاريخ. من وجهة النظر هذه، إذا كان زمن كزمننا غنيًّا بطاقة غير عاديّة، إذا كان مليئا بقوّة تشغيليّة غير متوقّعة حتى وقت قريب، إلا أنّه كذلك فقير للغاية بالروح، ولكن ليس بالمعنى الإنجيليّ للكلمة ؛ إنّها حقبة شديدة الفقر، لأنّ غنى الروح هو بالدرجة الأولى ظاهرة، وحدوث خلاصة، والإحساس بالتاريخ هو المؤشّر الأسمى لغنى الروح.

ولكن هناك جانبٌ ثانٍ لعلامة الأزمنة هذه يؤكّد التساؤلَ الذي بدأ بطرحه التشديدُ الأوّل. هناك طريقة أخرى لم يعد يمكننا أن نبدأ بها الدعوة للإيمان؛ إنّها طريقة أخرى ما زال ممكنًا فيها إيقاظ إعجاب الذكيّ، ولكن ليس حركة الشخص التي تدعه يذهب إلى شيء جديد، وتجعله يلتزم بشيء يقوم به، بشيء نهائيّ، محدِّد ومحدَّد – كم من مرّةٍ وجّهنا فيها هذه الدعوة! –: ليست الفلسفة المسيحيّة حول الحياة، النظرة المسيحيّة إلى العالم، نظريّة الوجود المسيحيّة بأكثر كمالا مقارنة بغيرها، كاملة، متوازنة، شاملة، جدّ إنسانيّة، كما ليس الإعجاب بنظريّة مثاليّة ما يمكنه أن يحرّك شابّ اليوم وكلّ واحد منّا بمقدار ما لديه من طبع الشباب في نفسه.
إنّ التقليد والنظريّة، التقليد والخطاب، لم يعودا قادرين على تحريك إنسان اليوم. لقد تكلّمت عن الشابّ، لكنّ هذا

© 2018 Fraternità di Comunione e Liberazione

الحدّ الأدنى من الشباب الذي ألمحت إليه سابقًا يبقى في الإنسان طوال حياته، وهو كذلك بالنسبة لنا أيضًا، وكذلك بالنسبة للرجل البالغ والناضج. بل إنّ هذه المشكلة غير مطروحة عند الرجل البالغ والناضج، وذلك بالتحديد لأنّ الوصول إلى مرحلة البلوغ في الإيمان يتطلّب التغلّب عليها، التغلّب على إغراء السبب التاريخيّ وعلى الجاذبيّة المتأتّية من جماليّة يوفّرها الكمال النظريّ.
لم يعد التاريخ أو العقيدة أو التقليد أو الكلام هو ما يحرّك إنسان اليوم. فقد خلق التقليد والفلسفة المسيحيّة، التقليد والخطاب المسيحيّ، وما زالا يخلقان الثقافة المسيحيّة Cristianità/Chrétienté، وليس المسيحيّة. ونعني بـ "الثقافة المسيحيّة" ذلك الدفق، ذلك التيّار، تلك النزعة التي يمكن التعرّف عليها في حقل التاريخ، والتي تؤهّلها – على وجه التحديد –صيغ فكريّة معيّنة، وطرق إدراك معيّنة، وقواعد أخلاقيّة معيّنة، وقيم معيّنة يتمّ التأكيد عليها، وبعض المواقف العمليّة، وبعض الأشكال. التقليد والخطاب، التقليد والثقافة المسيحيّة، التقليد واللاهوت، إذا أردتم، التقليد والعقيدة المسيحيّة تخلق أشكالا.

أمّا المسيحيّة فأمرٌ آخر، ولو كان من الواضح أنّ المسيحيّة تتضمّن كلّ ما ذكرناه. فهو لا يستعيد قيمة التاريخ فحسب، بل يعزّزها أيضًا ويدفع التقليد لأن يصبح حقيقة حيّة، ويستعيد التفلسف بالمعنى العميق للكلمة، ويستعيد النظام الذكيّ. ليس ذلك فحسب، بل إنّه يرفع من مستواه كي يصبح حقيقة حيّة فينا. بمعنى أنّ المسيحيّة هي "ما" يجعل التقليد حقيقة حيّة، ما يجعل التعبير عن الفكر حقيقة حيّة، ما يجعل الماضي مفعمًا بالحياة، ما يجعل مفعمًا بالحياة الفكر والفكرة والقيمة.

لكن أن نقول "حيّ" يعني أنّه حاضر! من الناحية المنهجيّة لا يمكننا، إذا كنا نريد ألا تختلط علينا الأمور، إلا العودة إلى الأصل: كيف نشأت وكيف بدأت. لقد كانت حدثًا. المسيحيّة حدث. الثقافة المسيحيّة مسار اجتماعيّ تاريخيّ، لكنّ المسيحيّة هي حدث. الثقافة المسيحيّة أشكال مفصليّة، لكنّ المسيحيّة حدث.
دعونا نقول: كيف بدؤوا يؤمنون؟ ما هي عناصر ذلك الحدث الذي أثار اهتمامًا كبيرًا، وحدّد انطباعًا عظيمًا، لدرجة أنّ الناس خاطروا لأوّل مرّة من أجل ما كان ماثلا أمامهم، لدرجة أنّ الناس شعروا لأوّل مرة بشعلة الإيمان داخلهم، لدرجة أنّ المسيحيّ بدأ يكون في العالم؟ ما كان ذلك الحدث، ما كان نوع ذلك الحدث؟
إنّهم لم يؤمنوا لأنّ المسيح تكلّم بتلك الأشياء ؛ لم يؤمنوا لأنّ المسيح قام بتلك المعجزات، لم يؤمنوا لأنّ المسيح استشهد بالأنبياء، ولم يؤمنوا لأنّ المسيح أقام الموتى. كم من الناس، غالبيّتهم العظمى، سمعوه يتحدّث بتلك الطريقة وسمعوه يقول تلك الكلمات، ورؤوه يقوم بتلك المعجزات، ولم يتمّ فيهم الحدث. لقد كان الحدث أمرًا تشكّل فيه المعجزة أو الكلام قسمًا، جزءًا، عاملا، لكنّه كان شيئًا آخر، شيئًا أكثر من ذلك، شيئًا أكثر اختلافًا بكثير أعطى الكلام والمعجزة معناهما. لقد آمنوا بما ظهر عليه المسيح. آمنوا بفضل ذلك الحضور، وليس بهذا أو ذاك الفعل والقول. آمنوا بفضل ذلك الحضور. حضور غير أجرد أو بليد، حضور له وجه: حضور ذو وجه دقيق للغاية، حضور مفعم بالكلام، أي مفعم بالاقتراح. آمنوا بفضل حضور مفعم بالاقتراح. والحضور المفعم بالاقتراح هو حضور مفعم بالمعنى. ما هو المصطلح الذي يمكن من خلاله التعريف بالطريقة المثلى عن حدث حضور مفعم بالاقتراح، مليء بمعنى للحياة (كون الاقتراح هو معنى للوجود)؟

هناك جزئيّة، تفصيل، يتعيّن التأكيد عليها هي أيضًا، ولا يمكن السماح لها بالإفلات: ليست كلّ الوجوه، وليس أيّ حضور مفعم بالمعنى، عفوًا، ليس أيّ حضور لديه اقتراح يكون مليئًا بالمعنى، وينطبق عليه بالتالي تعريف الكلمة التي نوشك أن نقولها؛ لكنّ الحضورَ المصحوبَ باقتراح هو مليءٌ بالمعنى، لدرجة تعريفه بالكلمة التي سوف نستخدمها، فقط لأنّ لديه شيئًا لا يمكن التنبؤ به، مفاجئًا وغيرَ متوقّع، أي إنّ لديه حداثة novità جذريّة في داخله. جدّيّة جذريّة أكرّر قولها، وأعيد وصفها بكلمتي "مفاجئة" و "غير متوقّعة": إنّها شيء لم يكن هناك من

© 2018 Fraternità di Comunione e Liberazione

قبل وهو الآن، هو موجود الآن. إنّه شيء لم يكن له أن يكون، وهو موجود الآن. شيء لم يكن له أن يكون، أي لم يكن نتيجة طبيعيّة، لم يكن كذلك متماسكًا مع كلّ الحكمة، مع كلّ الخبرة، مع كلّ الخطابات السابقة، مع كلّ التقليد. إنّه التعبير عن قوّة "أكثر"، إنّه التعبير عن قوّة أكبر، إنّه حضورُ قوّةٍ أكبر، كيفما خطر لنا تعريفه، ولو حاول بعدها ضميرنا النقديّ، على شبه عجلٍ تقريبًا، إعادة هذا الانطباع الذي لا يمكن إنكاره، هذا الانطباع الذي لا يمكن مقاومته للوهلة الأولى، حتى لو حاول ضميرنا النقديّ، على عجل تقريبًا، اختزالها إلى المقولات السابقة، إلى مقولة التقليد أو خطابه السابق، إلى مقولة تفلسفه السابقة، وحكمته السابقة، وتجربته السابقة.
إذن، وباختصار، حضور مليء بالاقتراح، ولذلك مفعم بالمعنى. ولكن هذا الـ"لذلك" يغلو قليلا. إنّ اقتراحًا مليئًا بالمعنى، إنّ حضورًا لديه اقتراحٌ يكون مليئًا بالمعنى، بمقدار ما يحتوي على شيء غير قابل للاقتصار على الماضي، أي على حاضرنا الذي يأتي من الماضي. حداثة جذريّة تكمن فيه.
حسنا، إنّ الكلمة التي تشير إلى هذه الظاهرة هي كلمة "بشارة" annuncio. فالمسيحيّة نشأت كبشارة: كان ذلك الشخص، الذي يتحدّث من هذا القبيل، الذي يفعل من هذا القبيل، لكنّه كان ذلك الشخص، الذي يقول ويفعل. كان ذلك الشخص، كان المجموع، كان كلّ شيء، كان ذلك الحضور المليء بالاقتراح، المفعم بالمعنى، مع حداثة غير قابلة للاختزال. كان تجربة حداثةٍ غير قابلة للاختزال. حاولوا أن تفكّروا، برهافة روح، وبخفر، ليس بمعنى الخجل، بل التواضع، والرقّة العميقة التي تضمن فطنة فقر الروح، حاولوا أن تفكّروا بتلك الفتاة التي كانت في المنزل وتلقّت البشارة: العذراء. شيءٌ لا يرتبط مطلقًا بالأحداث السابقة التي كانت تشكّل حاضرها. ولكن لماذا آمن هؤلاء المئات بمجرّد نزول الروح على الرُسل؟ لماذا آمنوا عندما قام بطرس يصرخ في الساحة؟ لماذا؟ لكان مجرّد حدث غريب أن يتكلّم شخصٌ ويفهموه بلغاتٍ عديدة. لكان مجرّد حقيقة فكريّة أن يقوم، كما فعل في خطابه، باستعراض التاريخ اليهوديّ كله انطلاقًا من ذلك الرجل الذي كانوا قد قتلوه قبل بضعة أيّام. البشارة كانت ذلك الأمر، كانت ما يحدث، كانت ذلك الحدث، كانت مجموع ذلك الحدث الذي يصدم، بمعنى أنّه يترك أثرًا وانطباعًا، كان يحمل شيئًا، شيئًا لم يكونوا على ما يبدو قادرين على فكّ رموزه وتحديده بوضوح، ولكنّه كان مختلفًا: حداثة، اقتراح – ويا له من اقتراح! – اقتراح كان يغيّر. لم يكونوا قادرين على تفسير قيمة هذا التغيير وشروطه، ولو قليلا. لذلك فإنّ كلمة "بشارة" تذكّرنا على الفور بكلمة أخرى واحدة، وهي كلمة "توبة".

ولكن، من أجل عدم التركيز على كلّ هذه المكوّنات، أو على كلّ الآثار المترتّبة عليها، وهذا أفضل، دعونا نستأنف جهود المخيّلة، دعونا نتماهى مع تلك اللحظة: لقد كان حدثًا في كليّته صدم هؤلاء الناس. وما صدمهم وجعلهم يتغيّرون هو أنّ ذلك الحدث كان مليئًا بالمعنى، جديدًا، مفاجئًا وغير متوقّع. ولكن لماذا انضمّ أهل سْميرنا أو أثينا أو ميليتس أو فيليبي – أولئك الذين انضمّوا – إلى القدّيس بولس؟ أمن أجل الكلام الذي قاله؟ أمن أجل الأعمال التي قام بها؟ كذلك أيضًا! كان ذلك من أجل مجموعة أشياء تصفها كلمة "بشارة" في محيطها الكلّي. كانت بشارة: وجود شيء يقترح تغييرًا، وأمرًا جديدًا.
هناك مصطلحٌ في تاريخنا، في تاريخ جهودنا، قريبٌ ممّا حاولنا توضيحه هذا المساء، وهو كلمة "لقاء". في الواقع، إنّ كلمة لقاء لها معنى قاطع من الناحية الوجوديّة، صالح من الناحية الوجوديّة، إذا تزامن اللقاء حصريًا مع بشارة: حضور مليء بالمعنى.
هناك عارض معيّن أودّ التأكيد عليه، لكي يصبح الأمر أكثر وضوحًا. البشارة هي حضور مع اقتراح. وهو يصبح مليئًا حقًا بالمعنى، يصبح بشارة حقًا، بقدر ما يُشرك المرء الذي يحمله، الذي يحمل المعنى، في المعنى الذي يعبّر عنه. البشارة هي حضور شخص منخرط بملئه في معنًى حول العالم، في معنًى حول الحياة. لأنّ ما يغيّر الحياة، ما يغيّرنا، هو انطباع وجوديّ، أي أنّه يغيّر الوجود، بمقدار ما يجلب مفهومًا للعالم، رؤية للعالم. لذلك، فإنّ البشارة هي الحضور، هي حضورٌ مليء بالمعنى، لكنّها حضور يُشرك في ذاك المعنى المرء الذي يحمله.

© 2018 Fraternità di Comunione e Liberazione

شخصٌ منخرط بملئه في معنًى حول العالم والحياة: هذا ما كان عليه المسيح بالنسبة لمن استمع إليه، هذا ما كان عليه بطرس بالنسبة لمن استمع إليه، هذا ما كان عليه بولس بالنسبة لمن استمع إليه، مع فقر بالروح. إذ ماذا يحدث في حالة غياب الفقر بالروح، عندما نفتقد بالتحديد الفقر بالروح؟ أن يعرف المرء الأشياء، بل يعتقد أنّه يعرفها ويختزل كلّ شيء إلى ما سبق وعرفه، ويميل إلى ربط كلّ شيء بما يعرفه. وحده الفقير بالروح من يمكنه أن يصبح ثريًّا، والثروة له وحده: أمّا الآخر فليس له سوى النفاد والاستهلاك، أي العيش على مدخول، أي الاستهلاك.

نحن كلّنا، إذا كنّا ههنا فذلك لأنّ هذه البشارة قد لمست قلبنا بطريقة ما؛ لأنّ ذلك الحضور، الذي يُشرك المرء في معنًى حول العالم والحياة، قد أعطي لنا. بأيّ طريقة كان، بفضل ما جمعنا ههنا، من المستحيل ألا تكون هذه البشارة قد لمستنا، ألا تكون قد وصلت إلينا نحن أيضًا. إنّه حدثٌ.

كنت قد قلت: استخدمنا دائمًا كلمة "القاء"، لكنّ كلمة "لقاء" لا تعبّر عن عمق الموضوع بأكمله، في حين أنّ كلمة "بشارة" تقوم بذلك، لأنّ كلمة "بشارة" تشرّع أمامنا – رغم كلّ ما يمكننا قوله – المعنى الغامض لتلك القوّة، أو لتلك الإرادة القويّة، أو لذلك الذكاء والإرادة القويّة التي حدث من أجلها الشيء، التي وُجد من أجلها: لماذا وُجد؟ إنّ كلمة "بشارة" تشرّع أمامنا (رغم كلّ ما يمكننا قوله) بكلّ وضوح معنى سرّ الآب، معنى سرّ الله، سرّ مشيئة الآب، سرّ تدبير الله، سرّ الله سيّد الإنسان والتاريخ، الذي يجعل البشارة تحدث لي ولا تحدث للآخر، تحدث للآخر ولا تحدث لي. الذي يختار إعلان نفسه للسيّدة العذراء، تلك الفتاة المجهولة تمامًا، وغير ذات قيمة، على الصعيد الدنيويّ، يختار إعلان نفسه لها، يختار إعلان نفسه لصيّادين فقراء، يختار أن يعلن نفسه لواحد أو اثنين من حكماء الشعب، هما نيقوديموس ويوسف الراميّ، وليس لثلاثمائة آخرين من أعضاء السنهدرين. هذه الحرّيّة المثيرة للإعجاب والمطلقة قد لمستني ولمست كلّ واحد منكم لأجل ما هو موجود هنا.

ولكن هذه هي المشكلة، التي أتركها مفتوحة. عندما نرحل من هنا يجب أن نحدّق إلى وجهها: أن نكون على دراية بهذا الحدث الذي حدث لنا، أن نكون على دراية بما تعنيه المسيحيّة. المسيحيّة تعني هذه البشارة. المسيحيّة لا تعني تقديم المال للفقراء. المسيحيّة لا تعني أن تأخذ 34 طفلا إلى منزلك؛ المسيحيّة لا تعني وضع التاج. المسيحيّة لا تعني الصلاة الى الله. المسيحيّة لا تعني القيام بلفتات دينيّة. لأنّ كلّ هذه الأشياء، كنوع من الأشياء، ممكنة في جميع تجارب البشر.

المسيحيّة شيء يُعطى لنا ويظهر لنا كشيء معطى، يبدو لنا كبشارة، كحقيقة مفاجِئة وغير متوقّعة: لم يكن موجودًا وهو هنا الآن. ما كان له أن يكون وهو موجود الآن، إنّه حاضر. ما كان له أن يكون وهو حاضر الآن: حداثة مطلقة. فكّروا في ما سمعه الرعاة عند بشارة الملاك، أو المجوس حول البشارة التي كان النجم علامة لها: حداثة جذريّة، حداثة ذات نظام مطلق، ما كان لها أن تكون وهي موجودة الآن، ما كان لها أن تكون لأنّنا لم نفكّر بها، لم يكن بإمكاننا التفكير بها، وهي هنا الآن. المسيحيّة هي هذا الحدث، إنّه حدث هذه البشارة. بشارة ليس لأنّني أشعر بها، أوّلا وقبل كلّ شيء، بل كونها تظهر لي: إنّها اقتراح، إنّها نوع من الاقتراح، إنّها جنس من الاقتراح؛ إنّها نوع من المعنى، إنّها جنس من المعنى، يتمّ نقلها لي، يتمّ اقتراحها، تأتي إليّ بواسطة أشخاص شاركوا فيها، انخرطوا بطريقة ما فيها. لقد اختار الله لبشارة معيّنة زانيًا. واختار الله لهذه البشارة أناس يُرثى لهم، هم الرسل. واختار الله لهذه البشارة خطاة، لأنّ كلّ شيء يكمن في القدرة التي تجعل الأمر يظهر على السطح.

كلّ شيء يكمن في الحدث – ليس في ما نحن عليه، أو قد نكون عليه، كقيمة أخلاقيّة – إنّه في شيء ما خارجنا ويطرح نفسه على أعماقنا. ولكنّه خارجنا: إنّه حدثٌ خارجَنا، تمامًا مثل البحر العاصف. حدثٌ خارجَنا، حدثٌ هو بشارة. حدثٌ، خارجَنا، غير متوقّع – لم يكن بالإمكان توقّعه – يظهر على السطح ويعبرنا، يخترقنا، حتى أعماقنا، مع اقتراحه، وهذا الاقتراح الذي يخترقنا حتى أعماقنا يشمل ذلك العبد الفقير الذي يحمله، رغمًا عنه.

تذكّروا فصل إرميا، عندما حاول سائمًا، في وقت معيّن، التمرّد على الله، وهو فصل تأمّلنا فيه أكثر من مرّة:

© 2018 Fraternità di Comunione e Liberazione

«"قلت في نفسي: لا أتكلّم باسمه من بعدُ، كفى! سأغرب عن وجهه، لا أتكلّم باسمه من بعدُ". لكنّه كان في قلبي كنار مُحرقةٍ، كنار محرقةٍ قد حُبست في عظامي، فجهدني إمساكه ولم أقوَ على ذلك، واضطررت للخروج والصراخ مرّة أخرى بالشدّة والدمار لمن لا يصغي إلى يهوه"» (راجع إرميا 20، 9) .

يتعيّن محو الماضي لنفهم ما هي المسيحيّة، يتعيّن محو كلّ دلالة عن الماضي لفهم ما هو الحاضر، الآن، الآن. بالطبع، ليس ماضي الأمس أو قبل الأمس، لأنّ المسيحيّة هي حضور داخل وجودك، وهو حضور يُشرك حياة أشخاص آخرين. أشخاص آخرون، من أجل تقديم اقتراح لك، أشركوا حياتهم، وهو اقتراح يطالبك بأن تشرك حياتك. وكونه يطالبك بأن تشرك حياتك، فهو اقتراح مليء بالمعنى، مليء بحداثة غير متوقّعة، ويضمن تغييرًا لا يمكن تصوّره، لا يمكن تصوّره.
لكنّ الشيء الرئيسيّ الواجب تلميعه في داخلنا، الواجب نزع أوراق التغليف عنه، لرؤية الهديّة الموجودة في الداخل، لاكتشاف الوجه الواضح الذي يحتوي عليه، الشيء الواجب النظر إلى وجهه، هو هذا الواقع الحيّ قطعًا، الحاضر، وهو المسيحيّة.

المسيحيّة بشارة، وهي ظاهرة يحمل فيها أشخاصٌ، شخصٌ – فكّروا بالمسيح –، شخصٌ من خلال سلوكه، من خلال إشراكه حياته، اقتراحًا يميل إلى تغيير حياتك: وهذا ادّعاء لا يقوم إن لم يكن من أجل معنى جديد قطعًا. كم من جبال الركام يجب أن ننزع عن السطح – وأكثر من السطح بكثير –، عن سطح ضميرنا، وروحنا، وذكائنا، وحساسيّتنا، كي نبدأ في السير نحو ما تبدأ هذه الكلمة، نحو الواقع الوجوديّ الذي تبدأ كلمة "البشارة" تردّد صداه، وتريد أن تكون صدى له. كم كتلة من الركام. كم قشرة يجب أن تنكسر! ولهذا، فإنّ أيّ موقفٍ فضوليّ، بقدر ما قد يكون لموقفٍ من الفضول الفكريّ، مهما كان قدره، لا يمكنه أن نفهم. وحده الفقر بالروح ما يسمح به، ذلك الفقر بالروح الذي يجعلنا نصرخ: "وَجهَكَ يا ربِّ ألتمس!" (المزمور 27، 8-9)، ذلك الفقر بالروح الذي يجعلنا نصرخ: "ظمئت نفسي إلى الله إلى الإله الحيّ" (المزمور 42، 3)، يلزمنا عُري هذه الكلمة، صدق هذه الكلمة، كمال نقاء هذه الكلمة، التي يمكنها أن تكون هناك، صافية، في أيّ شرّ، وأيّ خطيئة، وأيّ أمر مشين، والتي قد لا تكون، قد لا توجد في نفس الفريسيّ الكاملة، في نفس الفريسيّ التي لا تشوبها أخلاقيًا شائبة.

عندما كنت الليلة، قبل وصولي إلى هنا، أقول لنفسي: "الآن يجب أن أذهب إلى هناك لأقول هذه الأشياء..."، ما شجّعني في قراري بقبول المهمّة الشاقّة كان حصرًا، من الناحية الإنسانيّة، التفكير التالي: أنّ هذه الكلمات، أنّ هذه الكلمة، أو أنّ كلمات كهذه يجب طرحها هناك، وإن بدا أنّها ترتدّ كما لو كانت على الصخر، أو أنّها تنزلق كما لو كانت فوق الرخام، يجب طرحها هناك، لأنّ فقط المثابرة على السير تفتحها، تشرّعها، تُخضعنا لغزو قوّتها، وقيمتها، وتجعلها نستسلم تمامًا لها. لكنّ هذه المثابرة لا يمكن أن تحدث فينا، لا يمكن أن توجد فينا إن لم يكن في حالة التعايش: إنّه تعايش يعطي هذه المثابرة، التعايش فقط.

لأنّه يجدر أن تنتهي فترة وتبدأ أخرى: الفترة النهائيّة، الناضجة. إنّ هذه الكلمة التي تكمن في أصل مسيحيّتنا الناضجة، أو في أصل المسيحيّة، **هي** ما يحتمل صدمة الزمن، بل صدمة التاريخ بأكمله، لأنّ تلك البشارة التي بدأت بتحريك شعور شخصين (الفصل الأوّل من القدّيس يوحنا)، اثنين: يوحنا وأندراوس، قبل ألفي عام، تلك البشارة، ذلك الشخص، هو هو الظاهرة التي جذبتنا إلى هنا، وهو الظاهرة التي يمكنها أن تجعلنا نبقى في كنيسة الله. ولكن لم يعد من الممكن قبولها بشكل سلبيّ الآن، فالأزمنة لا تسمح لنا بذلك، الزمنان: زمن التاريخ ("علامة الأزمنة") وزمن حياتنا، لأنّنا لا نستطيع البقاء، بصفتنا بالغين، مسيحيّين ذوي أصالة معيّنة إن لم يكن من خلال اختبار هذا الحدث، إن لم يكن من خلال وعي البشارة. قبل كلّ شيء، وهذا أمر واضح، لا يمكننا أن نكون بشارةً

© 2018 Fraternità di Comunione e Liberazione

للآخرين، أي لا يمكننا أن ندعم سرّ المسيح في العالم، والتعاون معه أي، كما يقال، نشر المسيحيّة في العالم. أن نكون مخلصين للكنيسة، أن نكون خاصّة الله في صراع العالم، لا يمكننا أن نكون كذلك، لا يمكننا باختصار أن نكون مرسلين، إن لم يكن من أجل بشارة نعيشها باستمرار، وبالتالي نشارك فيها أيضًا. قد لا يبدو الأمر كذلك بالنسبة للكثيرين. لكنّني أقول بل هو كذلك، أنّه تغيير جذريّ، لا أقول في العمق وبالضرورة لموقفنا، لكنّه كذلك بالنسبة لوعينا، لإدراكنا، لطريقتنا في تحديد الأشياء، وبالتالي لتقدّم موقفنا. لأنّ تقدّم موقفنا، والبناء الجديد على حاضرنا، لا يمكنه أن يحدث إلا بفضل وعي صريح، إلا بفضل إدراك محدّد. أقول لكم إنّ ما يجب أن يحدث في وعينا، في طريقة تفكيرنا، وطريقة تسويتنا للأمور هو تغيير جذريّ، وإنّ كلمة "بشارة" تجعله يحدث.

© 2018 Fraternità di Comunione e Liberazione

خوليان كارّون
إنّها لهزّة جميلة، تجعلنا نبقى صامتين، سائلين أن تتمكّن الكلمات التي استمعنا إليها– التي تبقى أحيانًا كثيرة خارجيّة، بفضل صداها المختلف فيه وفينا، كما قيل لنا –، من أن تصبح كلماتنا! سيكون لدينا الوقت لإعطاء مساحة لهذا الصمت والعمل على ما سمعناه.
على مسافة خمسين سنة، تؤثّر بشكل أكبر حقيقة أنّه في حين كان كلّ شيء ملخبطا، كان لدى جوسّاني وضوح في الحكم حول وضع الكنيسة والعالم وحول ماهيّة الجواب.
ماذا يمكنه أن يصمد أمام وضع كالوضع الحاليّ؟ الشيء الوحيد الذي يمكنه أن يصمد هو البشارة – كما سمعنا – التي بدأ صداها يتردّد عندما خاطب يسوع ذينك الرجلين، يوحنّا وأندراوس، فأثار تلك الظاهرة التي جذبتهما. وحده تكرار الظاهرة نفسها سيسمح على المدى البعيد بالاستمرار في كنيسة الله. لن يكون من الممكن الصمود، إن لم يكن من أجل تجديد تلك الجاذبيّة ذاتها. لهذا السبب ذكّرنا دون جوسّاني بالطريقة الدائمة، منذ اللحظة الأولى وحتّى الآن ، وأعاد طرح السؤال علينا: كيف كانت البداية؟ كيف بدؤوا بالإيمان؟ وهو ما يعادل القول: كيف يمكننا مواصلة الإيمان؟ «لقد آمنوا بفضل ذلك الحضور [...]، حضورٌ ذو وجه دقيق للغاية [...] مفعم بالكلام، أي مفعم بالاقتراح». كان حضور يسوع حضورًا يحمل بشارة. ولكنّ «البشارة هي حضور مصحوب باقتراح [...]، مليء بالمعنى [...]، بقدر ما يُشرك المرء الذي يحمله في المعنى الذي يعبّر عنه»؛ أي أنّ البشارة، الحضور، هو الشاهد الذي أصبحت كلمته جسدًا، وجزءًا منه.
لهذا السبب يخلص دون جوسّاني إلى القول: «يجدر أن تنتهي فترة وتبدأ أخرى: الفترة النهائيّة، الناضجة. [...] ولكن لم يعد من الممكن الآن قبول» المسيحيّة «بشكل سلبيّ [...] لأنّنا لا نستطيع البقاء، بصفتنا بالغين، مسيحيّين ذوي أصالة معيّنة إن لم يكن من خلال اختبار هذا الحدث، إن لم يكن من خلال وعي البشارة».

والآن ، كيف لهذا الحدث أن يصبح خبرة بالنسبة لكلّ واحد منّا، وكيف له أن يدخل في أحشاء أنانا؟ لقد ذكّرنا بنفسه بهذا: فقط من خلال مسيرة صبورة، يتمكّن بفضلها ما لمسنا من تحديد كلّ شيء لدينا. دون جوسّاني يدعونا إلى ذلك: يدعونا إلى «التصميم في المسيرة»، الذي من الوهم بدونه الاعتقاد بأنّ الحدث سيصبح خبرة لنا.
فلنطلب من الربّ أن يجعلنا نختبر مرّة أخرى في أحشائنا هذا الحدث، تلك الحداثة التي لمستنا، حتى لا يتحوّل الأصل إلى ظاهرة من الماضي. دعونا نطلب منه نعمة أن ندرك، في هذه اللحظة من الارتباك حتّى داخل الكنيسة، المسؤوليّة التي نتحمّلها، بالتأكيد ليس لجدارتنا، بل بفضل ما قبلناه: أسلوبٌ تدخل من خلاله البشارة المسيحيّة بجوهرها في حياة كلّ واحد، إلى درجة إشراك شخصنا بكامله، أي حدثُ يجري الآن، شاهدٌ، مثل دون جوسّاني والبابا فرنسيس.

© 2018 Fraternità di Comunione e Liberazione

القدّاس الإلهيّ
عظة دون خوليان كارّون

القراءات الليتورجيّة:
سفر العدد 11، 25-29؛ المزمور 18 (19)؛ رسالة القدّيس يعقوب 5، 1-6؛ مرقس 9، 38-43.45.47-48

إنّ الله هو من يأخذ المبادرة دائمًا، سبق أن قلنا في الرياضة الروحيّة للأخويّة. تبيّن لنا ليتورجيا اليوم مرّة أخرى هذا الأمر. فمن أجل إنقاذ شعبه، أخذ الله المبادرة مع شخص واحد، هو موسى. لكنّه أشرك على الفور أشخاصًا آخرين، حيث انتقل الروح الذي حلّ على موسى إلى سبعين رجلاً آخرين، لكي يتمكّنوا من إيصال ما أعطي لموسى. وكانت هذه الخطوة الأولى هي مجرّد الإعلان عن المبادرة العظيمة التي سيأخذها الله، أي إرسال ابنه، لاستكمال تجربة موسى. وهكذا، تبدأ الهبة التي يطرحها يسوع في التاريخ بالوصول إلى أوّل من يلتقيهم، أي التلاميذ.
نحن نعرف جيّدًا طريقة الله هذه. فعمل الروح هذا هو في الواقع العمل نفسه الذي نتواجد بفضله هنا: وفي استمراره باستخدام نفس الأسلوب، أخذ السرّ الإلهيّ المبادرة مع شخص واحد، هو دون جوسّاني، فمنحه نعمة الروح حتّى يتمكّن من الوصول إلينا بتلك النبرة، بتلك القوّة – التي شعرنا بها للتوّ عند استماعنا إلى كلماته معًا –، بذلك الزخم الذي جعلنا جميعًا مهتمّين بالمسيحيّة، وبالتالي نشارك بروحه، بموهبته، بنعمته. إنّه لمن المؤثّر أن نرى كيف أنّ هذه الطريقة لا تمثّل بداية تاريخ ماضٍ فحسب، بل تواصل في الوقت الحاضر تحقيق العناية التي يولينا إيّاها الله.

ولكن إن لم نصبح مدركين لكامل مجّانيّة هذه الهبة، فسنحاول على الفور الاستيلاء عليها. هذا ما سمعناه في القراءة الأولى اليوم. ولمّا كانت روح موسى قد حلّت إلى شخصين كانا خارج المجموعة التي قبلتها، رآهما يشوع يتنبّأان فذهب إلى موسى ليخبره، «يا موسى يا سيّدي، كفّهما!»، لكنّ موسى أجابه: "ألعلّك تغار لي أنت؟». لقد حدث الأمر نفسه مع تلاميذ يسوع، كما يقول الإنجيل: «يا معلّم، لقد رأينا شخصًا يطرد الشياطين باسمك وأردنا منعه، لأنّه لم يتبعنا» – أي أنّه لم يكن ضمن الحلقة –. يرفض موسى أولاً ثم يسوع الخضوع لموقف الانغلاق هذا. يقول موسى: «ليت جميع أمّة الربّ أنبياء يجعل الربّ روحه عليهم». كما لو كان يقول: «ألا تدركون أنّ الله قد أعطى روحه لي حتى يصل للجميع؟» فعل يسوع الشيء نفسه مع التلاميذ: «لا تمنعوه، لأنّه لا أحد يقوم بمعجزة باسمي ويتكلّم على الفور ضدّي: من ليس ضدّنا فهو معنا».
يسوع يفضح إغراء تحويل الهبة التي نقبلها إلى استملاك واستخدامها كما لو كانت "ملكًا خاصًّا"، متناسين أنّنا قد أعطيناها مجّانًا، ومتناسين أيضًا أنّ الطبيعة نفسها لموهبةٍ ما، لنعمة الروح، هي أن تكون للجميع: إنّها تعطى لواحد كي تصل إلى الجميع وفقا لتدبير ليس من عندنا. لهذا السبب يقوم يسوع، وكذلك موسى وكلّ أولئك الذين تلقّوا الروح حقًّا، بتصحيح محاولات الاستخدام الاستحواذيّ للنعمة المقبولة. كما قام دون جوسّاني بتصحيحنا.
في استماعنا لهذه القراءات، نشعر في نفوسنا بتردّد صدى عبارة لدون جوسّاني: «نحن نشدّد على ما هو إيجابيّ [نجده عند جميع من نلتقي بهم في الشارع]، رغم محدوديّته، ونترك الباقي لرحمة الآب» (جوسّاني، ألبرتو، برادیس، خلق آثار في تاريخ العالم، دار نشر ريتسولي، ميلانو 1998، ص. 159)، فلسنا نحن من يحدّد الطريقة التي يجب أن يعمل بها الروح. فالروح يهبّ حيثما أراد، حتى خارج الكنيسة – كما أكّدت على ذلك الكنيسة دائماً – إذن حتّى خارج حلقتنا! كم من الاهتمام، كم من التوق للتعرّف على كلّ عمل من إعمال الروح واتّباعه، في أيّ شخص حدث ذلك، يجب أن نتحلّى به، بحيث يصبح الروح رفيق دربنا، لأنّ «من ليس علينا فهو معنا. ومن سقاكم كأس ماء باسمي لأنّكم تنتمون إلى المسيح [...]، فلن يضيع أجره».

© 2018 Fraternità di Comunione e Liberazione

بدلاً من الاهتمام بإدارة عمل الروح القدس، دعونا إذن نهتمّ بتوبتنا، حتّى لا يصبح أحدٌ منّا حجر عثرة. «وَمَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ». نحن مدعوّون لعيش الهبة التي قبلناها متخلّصين من كلّ ما يعيقها – حتى اليد أو القدم أو العين، إذا أصبحت حجر عثرة، يقول يسوع – لكي يمكنها أن تضيء. كم من التفاوت نشعر به أمام هذه الهبة! ولكن إذا بدأنا ندرك حقّا مدى هذا التفاوت، فإنّنا لا نستطيع إلا أن نطلب بأن تضيء النعمة التي قبلناها (وقبلناها من أجل الجميع، كدفعة مسبقة من التدبير الذي يتحقّق فينا من أجل الآخرين) بأن تضيء أكثر فأكثر أمام الجميع، وألا نكون حجر عثرة لأحد بسبب استخدام "غريب"، استحواذيّ أو خاطئ للنعمة المقبولة.

© 2018 Fraternità di Comunione e Liberazione

اقتباسات من النصّ

«إنّه أمل فيّ وفيكم، فيكم وفيّ، إنّه أملٌ في شخصنا أو في شيء داخل شخصنا. ليس أملا في شيء خارجنا، ليس أملًا في صوتٍ، في ظروفٍ، في موقفٍ ما، في فرصةٍ ما»

«إنّ أكثر عوارض الفقر بالروح راديكاليّة هو الإصغاء، هو موقف الإصغاء من جديد والإصغاء: الإصغاء من جديد إلى ما تمّ تقديمه لنا، وبشكل غزير»

«المسيحيّة هي "ما" يجعل التقليد حقيقة حيّة، ما يجعل التعبير عن الفكر حقيقة حيّة، ما يجعل الماضي مفعمًا بالحياة، ما يجعل مفعمًا بالحياة الفكر والفكرة والقيمة»

«آمنوا بفضل ذلك الحضور: حضور ذو وجه دقيق للغاية، حضور مفعم بالكلام، أي مفعم بالاقتراح»

«وهو يصبح بشارة حقًّا بقدر ما يُشرك المرء الذي يحمله في المعنى الذي يعبّر عنه»

«لأنّنا لا نستطيع البقاء، بصفتنا بالغين، مسيحيّين ذوي أصالة معيّنة إن لم يكن من خلال وعي البشارة»

«كيف لهذا الحدث أن يصبح خبرة بالنسبة لكلّ واحد منّا؟»

«لتضئ النعمة التي قبلناها أكثر فأكثر أمام الجميع، ولا نكن حجر عثرة لأحد بسبب استخدام "غريب"، استحواذيّ أو خاطئ للنعمة المقبولة»

© 2018 Fraternità di Comunione e Liberazione